**التربية الاسلامية في مواجهة تحديات العصر**

**(أو)**

 **التربية الاسلامية والتحديات المعاصرة**

 **د. يوسف أبو خليل[[1]](#footnote-2)**

**1- مقدمة**

إن مقولة "القرية الكونية" لم تعد شعارًا فضفاضًا لا واقعية له، بل اضحت واقعا معاشا نعيش في صلبه ولبه، في ايجابياته وسلبياته، في فرصه وتهديداته. ونتيجة التطور السريع في وسائل التواصل ومختلف الوسائل التكنولوجية الحديثة، وظهور العولمة الاقتصادية التي جسدتها المؤسسات التجارية العابرة للقارات، والتي تلاها العولمة الثقافية، بات وجود ثقاقات منغلقة هو امر اشبه بالمحال. ونتيجة لهذا التحول نجد انفسنا أمام تحديات مختلفة وعلى كل الصعد الفكرية والثقافية والاجتماعية...

فعلى المستوى الفكري نجدنا أمام تحديات فكرية لها علاقة بالمباني والمبادئ التي يجب من خلالها أن ننظر الى الانسان في جانبيه الروحي والجسمي، والابتعاد عن النظرة الاحادية المادية التي جعلت هذا الانسان يعيش فقط لاشباع رغباته المادية. وعلى المستوى الثقافي نحن نواجه الغزو الثقافي الذي يريد أن يلغي الخصوصيات الثقافية للمجتمعات لتهيمن الثقافة الغربية على مجتمعاتنا الاسلامية وتبقى اسيرة الاستهلاك الثقافي البعيد عن اصول ثقافتنا الاسلامية وهويتنا الحضارية. وتلعب وسائل التكنولوجيا والتواصل دورا اساسيا في عملية الاستلاب الفكري والثقافي حيث تشكل الاداة الاكثر فاعلية في توجيه مجتمعاتنا الى اغراض واهداف لا تمت الينا بصلة، وعليه فنحن مدعوون الى التأصيل الاسلامي في مختلف ميادين العلوم الانسانية عموما، لا سيما العلوم التربوية خصوصا، لأن التربية تعد العامل الاهم في مواجهة هذه التحديات.

1. **التربية الاسلامية في مواجهة التحديات المعاصرة**

لأن كانت التربية بمعناها الاهم هي عبارة عن تنمية الاستعدادات في مختلف الابعاد الانسانية، فمن الطبيعي ان تصبح التحديات اكبر واعظم. وللاسف تتشكل وتتقولب هذه التحديات بمجموعة اسئلة لدى الاجيال الناشئة، انه لماذا تأخر المسلمون وتقدم الغرب، لماذا نعيش في بؤس وقهر وفقر مع أننا متدينين في حين يعيش الاخرون في بحبوحة وعيش رغيد وهم أبعد ما يكونوا عن الدين والتدين؟

قد لا نجد اسئلة حاضرة وجاهزة مقنعة الا من خلال قراءة مفصلة للعوامل الثقافية والاجتماعية والفكرية للامة، وكذلك العوامل السياسية المتمثلة بجور الحكام وتبعيتهم، والعوامل الاقتصادية التي تنسحب ايضا على الاوضاع الحياتية التي نعيشها.

لقد تخلى الغرب عن الدين في العصور الحديثة نتيجة الظلم الذي عانوه من رجال الدين “الغربيين” ولا اقول “المسيحيين”، الذين سخروا الدين لامر الحكام ووقفوا امام كل فكر وعلم يريد أن يتقدم خطوة الى الامام. وليس أدل على ذلك مما عاناه كوبرنيقوس في ثورته العلمية التي ادت الى تغيير العلوم الفلكية من مركزية الارض الى مركزية الشمس، وعندما بدأ غاليلو التأكيد على أن [الأرض](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B1%D8%B6) في الواقع تدور حول [الشمس](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%85%D8%B3)، وجد نفسه قد طعن في المؤسسة الكنسية في وقت حيث التسلسل الهرمي للكنيسة قد ارتبط مع السلطة الزمنية، وغيرهم الكثير من العلماء الذين تم تكفيرهم واتهامهم بالهرطقة، وأدى بالبعض منهم الى اعدامهم حرقا.

ونتيجة هذا المنع الفكري والعلمي، انتشرت في الغرب مذاهب فلسفية واجهت الكنيسة وغالت بالانسان على اعتبار انه هو الكائن الوحيد الذي يمكنه ان يسيطر على الطبيعة، واعلن بعض فلاسفتهم ومنهم الفيلسوف الالماني نيتشه عن موت "الاله" ليحل مكانه "السوبرمان" أو الانسان الأعلى، واصبح الايمان فقط بالعلوم التجريبية، والتي تشكل –حسب رأيهم- حبل الخلاص للانسانية والتي تؤدي الى هيمنة وسيطرة الانسان على الطبيعة وباقي المخلوقات.

ولكن في مطلع القرن العشرين، كانت البشرية على موعد مع حرب عالمية قتلت وجرحت وشردت عشرات الملايين. وأمام هذا التحدي عاد الفلاسفة والمفكرون منهم للبحث والدراسة، وعرفوا بأن ليس بالعلم التجريبي وحده يحيى الانسان، والعلوم التجريبية هي سلاح ذو حدين، ونشأ ما يسمى بفلسفة القيم التي اسس لها الفيلسوف الالماني "ماكس شيلر" في مطلع القرن العشرين.

وكان العالم الغربي والعالم اجمع على موعد آخر مع حرب عالمية ثانية، ونتيجة التقدم بالعلوم التجريبية لا سيما دخول السلاح الذري واستخدام اميركا له في الحرب وتدمير كل من هيروشيما وناكازاكي في اليابان بشكل شبه تام، وبسبب هذا التنامي في العلوم من جهة، وفقدان القيم الالهية والانسانية من جهة اخرى، كانت النتائج كارثية على مستوى الخسائر البشرية والمادية.

وما زال الغرب يحاول فرض سيطرته وحتى استعماره واستضعافه للشعوب ولكن بأساليب اخرى منها العولمة والغزو الثقافي والحرب الناعمة.

وتأسس في الغرب ايضا علم حديث حاول أن يعطي العلوم التجريبية بعدا قيميا، وهو ما يسمى الاخلاق العلمية[[2]](#footnote-3)، والذي يحاول ان يلعب دور الدين ويشكل ضابطا اخلاقيا لكي لا تتعدى العلوم على اصل البشرية وتخريبها، اذكر مثالا عليها علم الاستنساخ واللعب بالجينات البشرية.

وبعد هذا العرض الموجز هل تختلف تحدياتنا عن تحدياتهم، بالطبع نعم، لان نشوء العلوم في الغرب كان كرد فعل على رجال الدين الذين وقفوا في وجه اي تطور علمي لعدة قرون، ولهذا سميت القرون الوسيطة بالقرون المظلمة.

1. **الاسلام والعلم**

 أما ما نواجهه اليوم في عالمنا الاسلامي انما يعود الى ابتعادنا عن الدين، ولا يوجد مواجهة بين الاسلام والعلم، بل بمقدار ابتعادنا عن الدين بمقدار ما نبتعد عن العلم. لان الأديان التوحيدية اكتملت بالاسلام وتمت النعمة. فالاسلام لم يأتي ليلغي الاديان التوحيدية بل ليكملها ويتمها. والاتمام هنا معناه هو انه لن يأتي كتابا مقدسا بعد القرآن الكريم ولن يأتي نبيا بعد خاتم المرسلين (ص). وقد عبر القرآن الكريم عن هذا حيث قال:" **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا.[[3]](#footnote-4)** وهذا يقتضي ان ننظر الى الاسلام على انه سيبقى قائما الى يوم الدين، وبقائه يستلزم تلبية حاجات البشرية في تطورها ومسارها التاريخي، في ماضيها وحاضرها وفي مستقبلها.

ولقد ربط الاسلام خشية الله بمقدار ما يحصل الانسان من العلم حيث جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[[4]](#footnote-5) ولم يساوي القرآن بين أهل العلم وغيرهم بل أكد على تقدم أهل العلم والمتمسكين بحبله حيث قال عز وجل: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ ‏[[5]](#footnote-6) ورفع الله العلماء درجات عن الناس الذين لم يتخذوا من العلم وسيلة حيث جاء في القرآن الكريم:﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[[6]](#footnote-7). وقد اشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم‏ لفضل العالم وأهميته في حياة الامة حتى على العابد، فقال (ص):‏ ‏"‏فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم‏"[[7]](#footnote-8).

 فالاسلام صالح لكل زمان ومكان ومجتمع انساني على مختلف الصعد، لذلك يقول علماؤنا بأنه علينا أن نبني حضارتنا الاسلامية، وهذه الحضارة هي التي تقدم نفسها كحل للانسان في ثنائيته الفردية والاجتماعية، الدنيوية والاخروية، الروحية والجسمية...

اذن من المنظار الحضاري يلحظ الاسلام مقولتي الزمان والمكان، وبناء الحضارة الاسلامية هو الالتفات الى الوضع الراهن والمستقبل الاتي من منظار المبادئ والاصول الاسلامية والاخذ بأسباب العلم والتقدم والتطور.

وهنا سوف اشير الى نموذج تربوي معاصر يؤكد المدّعى، ليس لاقول بأن الاسلام لديه كل شيء، بل لاقول بأن الحضارة الاسلامية هي نموذج انساني يتلائم مع مقتضيات الانسان في كل زمان ومكان، ويجب العودة الى ديننا الأصيل لننهل منه المباني والاصول التي تساهم في بناء هذه الحضارة وفي مختلف العلوم وفي الابعاد الانسانية كافة، لا سيما على المستوى التربوي.

1. **الوثيقة الاممية "التربية 2030"[[8]](#footnote-9)**

تعتبر الوثيقة الاممية " التربية 2030" والتي وافق عليها اكثر من 170 بلدًا اخر ما توصلت اليه العلوم التربوية الحديثة، ولست هنا في صدد نقدها بشكل مفصل، ولكن سألقي الضوء على بعض مخرجاتها التي خالفت وتوافقت تربویٌا مع الرؤية الاسلامية.

**المخرجات التي تخالف التربية الاسلامية:**

1. الجندرة: مفهوم الجندرة أو ما يعرف بـ"النوع الاجتماعي" هو آخر منتجات الفكر الغربي، الذي يريد أن يساوي بين المرأة والرجل في مختلف الوظائف بعيدا عن العامل البيولوجي أو الجنسي، وهذا يعني أننا أمام ذوبان الرجل والمرأة في الحياة الاجتماعية وتحولهما الى عنصر واحد خلافا للطبيعة الانسانية وبعيدًا عن الخصوصيات والفوارق الجنسية والعواطف والاحاسيس، وحتى ذوبان أهم قيم مثل الامومة وعلاقة الام بأطفالها، وتدعي احدى الباحثات والمنظرات للجندرة (اوكلي) ان الامومة هي ليست وليدة الفطرة عند الام، والامر لا يتجاوز أن يكون تنشئة اجتماعية وفرض وهيمنة الرجل على الحياة الانسانية وليست الامومة الا خرافة.ولا تحتاج الامومة كقيمة انسانية الى كثير من المناقشة فقد اثبت علم النفس التربوي الحديث اهمية حضن الوالدة في سلامة وصحة الطفل النفسية اضافة الى حليب الام وعامله الاساس في البناء الجسمي والفيزيولوجي السليم للاطفال. ويمكن اعتبار الشذوذ الجنسي أو ما يعرف بـ"المثلية والزواج المثلي" من أهم مخرجات الجندرة التي لا تريد أن تفصل بين خصوصيات ووظائف كل من المرأة والرجل، والتي يعتبرها الاسلام تكاملية. وللاسف لقد أضحى الزواج الطبيعي بين الرجل والمرأة هو عبارة عن زواج "تقليدي" في مقابل "الزواج الحديث" بين الرجل والرجل أو بين المرأة والمرأة، وقد عدد انطوني غيدنز في كتابه علم الاجتماع سبعة انواع من هذه العلاقات الشاذة، وللاسف حتى الحيوانات في الحياة البرية لا نجد فيها اي نوع من هذا الشذوذ الجنسي الذي يعتبر آفة خطيرة من آفات العصر.
2. التربية على السلام ونبذ العنف: التربية على السلام هو شعار رنان لسامعيه، ومن الطبيعي أن يلاقي في العالم آذان صاغية، ولكن بالدخول الى فزلكة هذا البند، نجدهم لا يفرقون بين العنف الناتج عن الجريمة والعنف الناتج عن الظلم الذي تتعرض له المجتمعات من قبل الانظمة الجائرة والذي يسمح للشعوب وبناء لمنطق الامم المتحدة بالمقاومة والتي تقصد وتروم الى التحرر من الاستعمار والاحتلال ومن أي جور أتى من داخل او من خارج الامم. فالتربية على السلام ان اريد منها التعايش والعيش المشترك بين مختلف الاديان والثقافات فهو امر مطلوب، اما ان اريد منها الاستسلام لمنطق القوة الحاكم في ما يسمى بـ" بالمجتمع الدولي" فهو مرفوض ومدان.
3. الصحة الانجابية: بند أخر ادرج على الوثيقية الاممية "التربية2030" وهو أيضا شعار قد نجده رنانا ومطلوبا، بهدف تحقق الصحة والسلامة الجنسية والتي يمكن أن يشكل عاملا اساسا للوقاية وتجنب الوقوع في الامراض الناتجة عن العلاقات الجنسية السليمة و" الشاذة"، ولكن عند الدخول في حيثياته نراه ينظر الى الاخر بعنوان "شريك" ليس زوجا او زوجة، واذا جمعنا بينه وبين الجندرة سنجد ان الاخر او الشريك قد يكون من نفس الجنس او من الجنس الاخر. وهنا لا يمكن ان نتخذ ازاءه موقفا حياديا.

وعليه نجد أن كل ما تقدم يشكل تحديا تربويًا خطيرًا للمجتمعات القائمة على خصوصيات دينية والهية وهذا مما لا يمكن قبوله وادخاله الى المناهج التربوية التي يراد أن يربى اطفالنا عليها من وجهة نظر الأديان الالهية والاسلام.

**المخرجات الموافقة للتربية الاسلامية:**

1. الزامية التعليم: احد اهم انتاجات العلوم التربوية المعاصرة هو الزامية التعليم والتي للاسف ما زالت غير موجودة في مجتمعاتنا، وهي حق الجميع بالتعلم وذلك لما له من أهمية في نمو وتطور المجتمعات.
2. تكافؤ الفرص التعليمية بين الجنسين: وهو الحديث عن حق الانسان في التعلم بجناحيه اي الذكر والانثى، في وقت عانت الانسانية من غياب الفتيات عن التعليم وعدم نيلهم حقهم فيه، وهذا مما ادى الى تجهيل نصف المجتمع، اضف الى ذلك محاولة تغييب الام المتعلمة، والتي تشكل الحجر الأساس في اعداد النشئ وهو العامل الاساس الذي يؤدي أيضا الى تأسيس ما يسمى بـ"مجتمع المعرفة".
3. التعليم المستدام: الانجاز الثالث الذي قدمته العلوم التربوية للبشرية هو حق الانسان بالتعلم المستدام الذي لا يقف عند حدود المدرسة او عند حدود الشهادات الجامعية، بل يتعداه الى الاستمرار بالتعلم نظرًا لاهمية متابعة التحولات العلمية ومواكبة مجتمع المعرفة، فلم يعد ممكنا الاكتفاء بما تعلمه الانسان على المستوى الاكاديمي لانه لا يلبي مختلف الحاجات نتيجة التطور السريع في مختلف العلوم والاكتشافات العلمية والذي يستدعي مواكبة العصر.
4. **عودة الى الاسلام:**

وعليه نجد انفسنا أمام تحديات جمة، تجدنا نتخبط فيها بين الرث والثمين، فماذا نقبل وماذا نرفض، وهذه التحديات تؤثر على مختلف الصعد الفكرية والثقافية والاجتماعية للمجتمع الاسلامی.

وهنا سوف اشير فقط الى حديثين واردين عن رسول الله محمد (ص) التي أكدت على المخرجات التعليمية الحديثة، ليس بهدف تأييدها أو اعطائها شرعية، بل للتأمل في أهمية القراءة التربوية للنصوص الواردة، والتي تأخرنا كثيرًا فيها، بينما وصل اليها الاخرون بالتجربة البشرية التراكمية، كل هذا يستدعي الاستنهاض التربوي القائم على المباني والاصول الاسلامية.

* ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: " اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد ".[[9]](#footnote-10) وهذا الحديث انما يعبر عن دعوة رسول الله الى التعلم مدى الحياة، ولم يقصر التعلم على الصغر ولا على أي مرحلة زمنية، ونجد من خلال مضمون النص اشارتين:
1. فعل الامر "اطلبوا" اي امر الرسول بطلب العلم ولم يستحسنه فقط، وهذا ما يتعارف عليه بـ"التربية المستدامة" بالمعنى المعاصر!
2. لم يقيد العلم هنا بقيد وبقي على اطلاقه وهذا يفيد أيضا مختلف العلوم التي تصب في بناء الحضارة الاسلامية، وهو ما يعبر عنه بالعلم النافع.
* عن النبي (صلى الله عليه وآله)، انه قال: " طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة".[[10]](#footnote-11) هذا الحديث يستدعي الوقوف عنده مليًا ، من الناحية التربوية، كونه تأسيسي في بناء المجتمع الاسلامي، ويمكن من خلاله ايضًا الاشارة الى نقطتين تربويتين اساسيتين:
1. العلم فريضة اي بمعنى واجب على الناس، وحسب الرؤية الاسلامية فقد فرض العلم على جميع ابناء الامة، ولم يقيد هذا العلم بعلم معين كالعلوم الدينية، لان العلوم الدينية والتفقه فيها خصه القرآن بفئة معينة حيث قال تعالى: ۞ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ۞[[11]](#footnote-12) ، أما العلم النافع وغير المقيد فهو وظيفة الامة بتمامها، وهذا إنما يدل على دعوة الامة الى الاخذ بفنون العلم النافع، وللاسلام نظرة تكاملية للانسان، فقد جعل بعض العلوم مشتركة بين الجنسين، وخصهما بتعلم علوم اخرى كـ"الطب النسائي" للمرأة على سبيل المثال لا الحصر.
2. كان يمكن للرسول (ص) أن يوجب العلم على كل مسلم، وكلمة مسلم تفيد التذكير والتأنيث معًا، لكننا نرى تأكيده على ذكرهما، وهذا إن دل انما يدل على أهمية نيل كل من المرأة والرجل قسطهما من العلم لما فيه خير المجتمع الاسلامي، هذا المجتمع الذي لن تقوم له قائمة ما لم يرجع الى أسسه ومبادئه ويأخذ بأسباب العلم ليستحق قول الله تعالى: كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ [[12]](#footnote-13) وأختم هذه الاسطر بأية شريفة تدعونا الى التأمل اكثر بالعمل التربوي الاسلامي الذي يدعو الى بناء مجتمع الحياة الطيبة حيث يقول الله عز وجل في كتابه الكريم:" **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ"[[13]](#footnote-14).**
1. - استاذ جامعي ومدير الابحاث النظرية في مركز الابحاث والدراسات التربوية. [↑](#footnote-ref-2)
2. Science ethics [↑](#footnote-ref-3)
3. - سورة المائدة، الآية3. [↑](#footnote-ref-4)
4. - سورة فاطر، الآية 28. [↑](#footnote-ref-5)
5. - سورة الزمر، الاية 9. [↑](#footnote-ref-6)
6. - سورة المجادلة، الآية 11. [↑](#footnote-ref-7)
7. - منية المريد /الشهيد الثاني (ره)/ص١٠٠-١٠١. [↑](#footnote-ref-8)
8. ###  - [Education 2030](https://en.wikipedia.org/wiki/Education_2030_Agenda)

 [↑](#footnote-ref-9)
9. - تفسير القمي ج٢/ ص٤٠١ [↑](#footnote-ref-10)
10. - مستدرك وسائل الشيعة /للمحدث النوري (ره) ج١٧-ص٢٤٩. [↑](#footnote-ref-11)
11. - سورة التوبة، الأية 122. [↑](#footnote-ref-12)
12. - سورة آل عمران، الآية 110. [↑](#footnote-ref-13)
13. - سورة آل عمران، الآية 164. [↑](#footnote-ref-14)